Mesopotamian journal of Arabic language studies
Vol.2025، pp. 56–64
DOI: https://doi.org/10.58496/MJALS/2025/011: ISSN: 3005–8910
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJALS

قراءة تحليلية لخطاب حسين مروّة في التراث العربي والفكر الإسلامي في ضوء المادية التاريخية

An Analytical Reading of Husayn Muruwwa's Discourse on Arab Heritage and Islamic Thought in Light of Historical Materialism

باقر محمد جعفر الكرباسي [١،*]
[١] كلية التربية الأساس، جامعة الكوفة، النجف، العراق.

Baqir M. J. Al Kurbassi [1،*]
1 University of Kufa, Najaf, Iraq.

الخلاصة

يقدّم هذا البحث قراءة تحليلية في خطاب المفكّر حسين مروة (١٩٠٨ – ١٩٨٧ م) ومشروعه الفكري والثقافي، باعتباره أحد أبرز أعلام الفكر والنقد الاشتراكي العربي في القرن العشرين، وذلك من خلال مقاربة منهجه في دراسة التراث العربي – الإسلامي على ضوء المادية التاريخية. فمع أن سؤال التراث ظلّ هاجساً مركزياً في الفكر العربي الحديث، بقيت قراءاته محصورة ـ لزمن طويل ـ داخل الأطر السلفية التي احتكرت حقّ تفسيره واعتبرت نفسها الوصيّ الشرعي عليه. وقد جاء مشروع مروة ليقوّض هذا الاحتكار، عبر مقاربة نقدية موسوعية أعادت قراءة المدونات الفلسفية والكلامية والفقهية بوصفها نتاجاً لشروطها الاجتماعية –الاقتصادية والتاريخية، كما تتجلّى بوضوح في عمله الموسوعي النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية .

يتتبّع البحث آليات قراءة مروة للتراث باعتباره بنية تاريخية متحوّلة تخضع لقوانين الصيرورة الاجتماعية، لا كياناً مقدّساً ثابتا. وبذلك يحوّل مروة التراث من ماضٍ جامدٍ منعزل إلى فضاء معرفي حيّ تتفاعل داخله منجزات الماضي مع أسئلة الحاضر وإمكانات المستقبل في حركة جدلية مستمرة. ويوضح البحث كيف سعى مروة إلى إعادة بناء التاريخ الفكري العربي – الإسلامي بوصفه عملاً مفتوحاً على التحليل والسؤال، لا وثيقة منغلقة على التقديس .

كما يبرز البحث القيمة الإبستمولوجية والمنهجية لمشروع مروة ضمن النقاشات الراهنة حول تجديد قراءة التراث، مؤكداً ضرورة مقاربته نقدياً وبصورة تاريخية علمية تتيح دمجه من جديد في الوعي الثقافي العربي المعاصر، وفي بناء رؤية حضارية حديثة تستلهم الماضي دون الارتهان إليه.

ABSTRACT

This study presents an analytical reading of the discourse of the Arab thinker Husayn Muruwwa (1908–1987) and his intellectual cultural project, situating him as one of the most prominent figures of twentieth-century Arab socialist thought. The analysis focuses on his methodological approach to the study of the Arab-Islamic heritage through the lens of historical materialism. Although the question of heritage has long occupied a central place in modern Arab thought, its interpretation remained, for decades, confined within Salafi frameworks that claimed exclusive authority over its meaning and positioned themselves as the rightful guardians of the tradition. Muruwwa's project sought to dismantle this monopoly through a wide-ranging critical intervention that reread philosophical, theological, and juridical corpora as products of their social-economic and historical conditions, a perspective most clearly embodied in his monumental work Materialist Tendencies in Arab-Islamic Philosophy.

The study traces the mechanisms through which Muruwwa approached heritage as a dynamic historical structure governed by the laws of social transformation, rather than as a fixed, sacralized entity. In doing so, he transformed heritage from a static and isolated past into a living epistemic space where the achievements of earlier generations interact with the questions of the present and the possibilities of the future in a continuous dialectical movement. The paper demonstrates how Muruwwa endeavored to reconstruct the Arab-Islamic intellectual tradition as an open field of inquiry and critique, rather than a closed repository of sanctified texts.

Finally, the study highlights the epistemological and methodological value of Muruwwa's project within contemporary debates on renewing the study of heritage. It underscores the necessity of approaching heritage critically and historically — through rigorous scientific analysis — in order to reintegrate it into modern Arab cultural consciousness and contribute to the construction of a modern civilizational vision that draws inspiration from the past without becoming captive to it.

*Corresponding author alkurbassi@yahoo.com

CC BY

Keywords
الكلمات المفتاحية
تحليل الخطاب، النقد الأدبي، الدراسات العربية، التراث العربي، الفكر الإسلامي
Discourse analysis, Literary Criticism, Arabic studies, Arab heritage, Islamic thought

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	قبول النشر	النشر الالكتروني
02/09/2025	29/10/2025	29/11/2025

١. المقدّمة

لاشك في أن الكتابة عن الرموز أو الشخصيات الكبيرة ذات التفكير الخلاق والمؤثر التي ألفت قيمة عليا في مجال اختصاصها الإبداعي الفكري أو الديني أو السياسي وسواها من القضايا الصعبة و الشائكة التي قد لا تتوافر إلا للقلة من الباحثين والمختصين في هذا الشأن، خصوصاً عندما يراد لهذا النوع من الدراسات والسرديات الوصفية الممنهجة أن لا تكون مجرد تكرار أو اجترار ممل لكلام إنشائي إطنا بي سبق أن قيل بصورة أو بأخرى فيما مضى، وفي هذا البحث حاولت تسليط الضوء على إحدى الشخصيات المهمة في عالمنا العربي والإسلامي، إنه المفكر الدكتور حسين مروة القادم من جيل المفكرين النهضويين الذين أسهموا إسهاماً فعالاً في إثراء حياتنا الثقافية، وأثروا بقوة في مجمل النشاط الفكري والمعرفي على امتداد العقود الخمسة الأخيرة من القرن الماضي وهو من المثقفين والمفكرين اللبنانيين العرب الذين يتميزون برؤية عميقة وثابتة في تناول القضايا وطرحها، فلم ينشغل العرب في العصر الحديث بقضية كما انشغلوا بقضية التراث، لكن قضية التراث إذ طفت على السطح تداولاً بين الفرقاء قد خرجت من أيدي الإتجاه السلفي الذي كان يرى أنها إرثه وحده وأنه الأمين والقادر على شرحها وتوسيعها وتوظيفها، لكن الاتجاه العلماني من فئتيه: الماركسيين والبنيويين الليبراليين قد حرم الإتجاه السلفي من احتكار هذا الملك، فبدأ يعلن عن مداهمته لها مداهمة ذات طابع موسوعي ويعد المفكر حسين مروة رائداً ومؤسساً في البحث التراثي فأعلن عن موسوعته (النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية)، إذ قام بإعادة القراءة للمدونات العربية والمصنفات التراثية محتمياً بالمنهج الجدلي التاريخي موظفاً إياه في تحليل الظاهرتين الفكرية والتاريخية، وهذا ما درسته في بحثي هذا موضحاً منهج المفكر مروة في دراسته للفكر الإسلامي في ضوء المادية التاريخية.

ويعد الدكتور حسين مروة (١٩٠٨ – ١٩٨٧م) من أئمة الفكر وقمم الهرم العقلي العربي، ورواد المنحى العلماني الممتلئين بحلم التنوير والتطور والمعرفة والتقدم الثقافي والعلمي والحضاري، ومن الأعلام الفكرية والفلسفية الشامخة في الثقافة العربية التقدمية المعاصرة.

ينطلق البحث من دراسة آراء حسين مروة للفكر الإسلامي في ضوء المادية التاريخية، فمن الحقائق التي لا يمكن تجاهلها على ساحة الفكر الإنساني، تلك الحقيقة القائلة بإمكانية أعادة تفسير التراث الفكري في ضوء الروح الجديدة للعصر، والفكر العربي الإسلامي على وجه الخصوص في أمس الحاجة الى أن يفهم من جديد فهماً حضارياً بعيداً عن الإنغلاق كي يأخذ دوره الحقيقي في إعادة تأليف الصورة الثقافية المعاصرة، ومن هذا المنطلق تعد مؤلفات حسين مروة من أبرز الدراسات الحديثة التي استخدم فيها المنهج المادي التاريخي لدراسة الفكر العربي الإسلامي، فالتراث عند حسين مروة هو علاقة تطور تاريخي يقود الى فهم (مشكلة الموقف من التراث) إنطلاقا من أن المطلوب هو النظر الى فكر الأقدمين حياً بلحمه ودمه، أي أن معرفة التراث في ضوء المنهج المادي التاريخي لدى حسين مروة هي معرفة تتحقق فيها (رؤية الحاضر في حركة صيرورة تتفاعل في داخلها منجزات الماضي وممكنات المستقبل تفاعلاً دينامياً تطورياً، رغم التقطع الحادث في مجرى حركة الصيرورة هذه)[١].

إن دراسات حسين مروة تُعدّ ثمرة ناضجة لاستغراق طويل في سفره النقدي والفكري، وعملية غوص منتجة في أعماق المرحلتين السابقتين النجفية (نسبة إلى النجف) والعقلانية، مستشرفاً ومحققاً فيها ما أعده ملحاً وضرورياً في الإستفاضة بتطبيقاته المنهجية والماركسية، وهي من جهة أخرى أيضاً تلخص مرحلة اندماج فكر الناقد بالمفكر وبمنهج جدلي تاريخي يريد صياغة معرفة جديدة.

٢. حياة مروة، سيرته، ومؤلفاته

أ- من هو حسين مروّة؟

- ولد المفكر الدكتور حسين مروة عام ١٩٠٨م في قرية (ضيعة) حداثا التابعة لقضاء بنت جبيل في جنوب لبنان.
- تلقى دروسه الأولى في المدرسة الرسمية في حداثا.

[١] النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية: حسين مروة،ج١،ص٢٧

- هاجر الى العراق عام ١٩٢٤م لدراسة العلوم الإسلامية في جامعة النجف وعاد منها عام ١٩٢٨م مكملاً شروطها العلمية.
- بدأت اهتماماته بالكتابة الأدبية منذ سنوات دراسته الأولى في العشرينات، فكتب المقالة والقصة والنقد والبحث وكتب القليل من الشعر.
- بداية اطلاعه على الفكر الماركسي كانت عام ١٩٤٨م عبر قراءة "البيان الشيوعي" الذي أعاره إياه الشهيد حسين محمد الشبيبي (أحد مؤسسي الحزب الشيوعي العراقي) فوجد فيه الطريق الى الإنسانية والعدالة الاجتماعية.
- شارك أدبياً وإعلامياً وعملياً في أحداث الوثبة الوطنية العراقية عام ١٩٤٨م، التي أسقطت معاهدة بورتسموث البريطانية مع حكومة العهد الملكي في المملكة العراقية آنذاك.
- أُبعد من العراق عام ١٩٤٩م بعد عودة نوري السعيد الى الحكم.
- إستأنف الكتابة الأدبية في لبنان بعد عودته مباشرة، وظل سبع سنوات متواصلة يكتب زاويته اليومية المعروفة (مع القافلة) في صحيفة الحياة.
- تعرف عام ١٩٥٠م على فرج الله الحلو (١٩٠٦ . ١٩٥٩ م) وانطون ثابت (١٩٠٧ . ١٩٦٤ م) ثم على محمد دكروب (١٩٢٩ . ٢٠١٣ م)، نتج عن هذا التعارف تأسيس مجلة الثقافة الوطنية والتي أصبح حسين مروة مديراً لتحريرها إلى جانب دكروب.
- إنتظم رسمياً إلى الحزب الشيوعي اللبناني عام ١٩٥١م.
- إنتظم في صفوف قوات أنصار السلم (تجمع الأحزاب الشيوعية العربية لتحرير فلسطين) عام ١٩٥٢م.
- أنتخب عام ١٩٦٥م عضواً في اللجنة المركزية للحزب، وبعدها عضواً في المكتب السياسي.
- ترأس تحرير مجلة الطريق الثقافية من العام ١٩٦٦ حتى شباط ١٩٨٧ (تاريخ استشهاده).
- كان عضواً في مجلس تحرير مجلة النهج الصادرة عن مركز الأبحاث والدراسات الإشتراكية في العالم العربي.
- درّس مادة فلسفة الفكر العربي في الجامعة اللبنانية (الرسمية) في بيروت.
- أغتيل في بيته في منطقة الاونيسكو في شباط عام ١٩٨٧م من أعداء الفكر والثقافة والديمقراطية.

ب – مؤلفاته:-

١- الثورة العراقية صدر عام ١٩٥٨م، إثر ثورة تموز عام ١٩٥٨م.
٢- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي: صدر عام ١٩٦٥م.
٣- النزعات المادية في الفلسفة العربية – الإسلامية: أربع مجلدات، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ط٣، ٢٠١٦.
٤- في التراث والشريعة: صدر عام ١٩٨٤م.
٥- تراثنا – كيف نعرفه: صدر عام ١٩٨٥م.
٦- مكان التراث الإسلامي في الفكر المعاصر.
٧- من النجف دخل حياتي ماركس.
٨- أدباء ومفكرون نهضويون.
٩- أحاديث في الأدب والثقافة ودراسة التراث.

وكتب مخطوطة أخرى تنتظر الطبع.

٣. مصطلحات في مسار البحث:

أ. الفكر الإشتراكي:-

هو كل فكر فلسفي أو اقتصادي أو سياسي أو تربوي أو فني يرمي الى تحقيق العدالة الإجتماعية ويسهم في تحسين أوضاع الكادحين، ويرفض الإستغلال كلياً أو جزئياً، بغض النظر عن موقفه من الماركسية والشيوعية، أما في العمق التاريخي، فإن هذا المصطلح يمتد الى النزعات الإشتراكية – بمختلف تسمياتها وأشكال تجليها – المنثورة في تراثنا وتراث غيرنا من الشعوب، وبالنسبة لنا نحن العرب – فإن تراثنا يزخر بثروة حقيقية من الدعوات والمبادئ والمواقف ذات المحتوى الإشتراكي مما يصلح أن يكون جذراً تاريخياً للفكر الإشتراكي العربي المعاصر الماركسي منه وغير الماركسي، ويمكن إجمال مصطلح الفكر الاشتراكي بالنقاط الآتية:

١- إن مصطلح الفكر الإشتراكي هو مصطلح واسع الدلالة، يؤلف الفكر الماركسي جزءاً منه.
٢- إنه فكر إيجابي سواء بالنظر إلى قيمه الإنسانية، أو بالنظر إلى فاعليته في التغيير والتقديم.

٣- إنه فكر مستمر في التنامي والإتساع والغنى، ولا يمكن تأطيره في حدود لا يتجاوزها لأن يمكن وضع صيغة نهائية للاشتراكية[١].

ب. الفكر الماركسي:-

وهو ما وضعه ماركس (١٨١٨ . ١٨٨٣ م) وأنجلز (١٨٢٠ . ١٨٩٥ م) منفردين أو مجتمعين من دراسات وأبحاث ومقالات ورسائل ومؤلفات، وما وضعه ويضعه المفكرون الماركسيون سابقاً واليوم، وما تضعه الأحزاب الماركسية من وثائق رسمية أي أن الفكر الماركسي:

١. هو أوسع من الفكر الذي تبنته الأحزاب الشيوعية الرسمية، أو أحزاب ما عُرف بالحركة الشيوعية العالمية في القرن العشرين، إذ أن هذه الأحزاب تثبت جزءاً من الفكر الماركسي، تياراً من تياراته، هو الماركسية اللينينية، أي أنها تبنت فكر لينين الذي تضمنته كتبه ومقالاته وتقاريره، بالإضافة إلى ما كتبه ماركس وإنجلز وفقاً لقراءة لينين ورؤاه.
٢. إن الماركسية اشتملت على تيارات متعددة ومختلفة منها التيار اللينيني (نسبة إلى فلادمير لينين) (١٨٧٠ . ١٩٢٤ م) ومنها غيره.
٣. إن النظر الى التيارات الماركسية المختلفة يجب أن يتحلى بالموضوعية والحياد وإلا يبقى أسير التحزب لتيار في مواجهة التيارات الأخرى.
٤. إن الفكر الماركسي ليس حكراً على الأحزاب الشيوعية، هذا ما يجب أن تسلم به هذه الأحزاب فكثير من الأحزاب غير الشيوعية والتي لا تعلن عن كونها ماركسية، هي في الحقيقة تتبنى الماركسية أو أجزاء منها، وتعتمدها في قراءتها للواقع ورسم تصوراتها وحلولها وشعاراتها، كما أن هناك أضراباً وشخصيات تمارس منهجية ماركسية في تحليلاتها، وهي في موقف مغاير لمواقف الأحزاب الشيوعية أو مضاد لها، لابد لنا من التفريق بين الأحزاب الشيوعية والفكر الماركسي[٢].

ت. المادية التاريخية:-

إن المادية التاريخية جزء لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية، وهي بالإضافة إلى هذا، علم خاص يمتاز عن كل العلوم الأخرى بموضوع بحثه، والمادية التاريخية هي المجتمع كشكل إجتماعي خاص لحركة المادة، وهي معرفة القوانين العامة للتاريخ المأخوذه من خارج نطاق علاقتها بتاريخ هذا البلد بالذات أو ذاك الشعب، وهي تقوم بفرز الجوانب والقوانين العامة لتطور المجتمع عن طريق التحديد فتكشف بهذا عن الوحدة المادية للعملية التاريخية التي تعجز عن كشفها الملاحظة المباشرة، وعن طريق الصلة المتبادلة بين جوانبها وعن مراحل تطورها[٣].

إن المادية التاريخية، إذ تبحث القوانين العامة للتاريخ، تركز على العلاقات الجوهرية بين الظواهر الإجتماعية أو على جوانب الحياة الإجتماعية التي توجد في كل بناء إجتماعي وفي كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع، كالقوى الإنتاجية، علاقات الإنتاج، القاعدة والبنيان الفوقي، الجماهير والفرد، وجانبي العملية التاريخية المادي والروحي[٤].

٤. المادية التاريخية ومنهج حسين مروّة

من الذي يصنع التاريخ؟ هذا سؤال عتيد أثار كثيراً من الخصومات والرد بين المشتغلين في البحث التاريخي منذ القرن الثامن عشر، ومنشأ الخلاف أن فريقاً من المؤرخين قالوا بأن السبب الأوحد في أية حركة تاريخية هو الفرد وأنكروا بذلك أي سبب أخر على حين رد فريق ثانٍ بأن الإتجاه التاريخي إنما تحدده الأسباب العامة، أما اليوم وبعد أن تحول التاريخ من مجرد قصص تسرد على سبيل الإمتاع والتسلية الى علم ذي قوانين وأصول عامة، وبعد أن أخذ كل مجتمع نصيبه من العلم والتقدم فان جميع المؤرخين العلميين على مختلف مدارسهم ومنازعهم أجمعوا على أن دور (الرجل العظيم) أمر لا ينكره أحد في التأثير على سير الأحداث وتوجيهها، لكن الرجل العظيم لا ينبثق من العدم، بل يظهر أينما وأنّى كانت الظروف الإجتماعية مهيأة لظهوره، وأنه إنما يقوم بدوره الواعي في تغيير الأوضاع بسبب فهمه وإدراكه لرسالته الإجتماعية[٥].

ارتبط الفكر الإسلامي في مده وجزره بحركة الواقع السوسيو – تاريخي بحيث يمكن إعتبار الطبقة الوسطى في المجتمع الإسلامي هي المسؤولة عن صناعة وصياغة الفكر، بديهي هنا أن يزدهر الفكر التاريخي إبان تلك الحقبة التي شهدت (القرن الذهبي) في تاريخ الفكر الإسلامي، لا لشيء إلا لأن الفكر التاريخي يؤلف ركناً هاماً من أركان النهضة العلمية والثقافية العامة[٦].

عمَّ هذا الازدهار الفكر التاريخي، موضوعاً ومنهجاً تأويلاً وتفسيراً، بحيث اكتمل علم التاريخ الإسلامي وتعاظمت مكانته بين العلوم الإنسانية، وجرى توظيفه لخدمة أغراض عملية سياسية وثقافية وتربوية[٧].

---

(١) مجلة الطريق: ع ٤، س٢٠٠٣،٦٢، ص٣٣-٣٤
(٢) المرجع السابق: ص٤٠-٤١-٤٢
(٣) السيد دغيم، محمود: المادية التاريخية بين الوهم والواقع، دار الحداثة، ط١٩٨٦،١، ص٥
(٤) نفسهُ: ص٧
(٥) مجلة الثقافة الجديدة:ع٥،ك١٩٧٩،١،ص٩
(٦) مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون،ج١, بيروت,١٩٨٣,ص٢٤٦
(٧) روزنثال،فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، بيروت,١٩٨٣,ص٩٣

قرأ المسلمون قبل حسين مروة تاريخ دينهم وحضارتهم وثقافتهم وقد حصل أن بعض قراءاتهم في العهد الحديث والمعاصر كان في حكم المميَّز والمقنع من وجهة نظر البحث العلمي ومناهجه الحديثة، ولكن قراءات حسين مروة أتت مختلفة كثيراً عما سبقها وعاصرها من قراءات، في الموضوعات والفرضيات والأدوات، فهو ما نحا في الدرس والقراءة منحى العموم أو التعميم، وإنما اختار الموضوعات ما يقبل السيطرة عليه واستشكاله وما يسمح بانتقال علمي سلس، وغير مفتعل، من الجزئي إلى الكلي، من الحالة المفردة الى البنية الجامعة، وهو في فرضيات التحليل مدقق، فلا يجنح بالإفتراض النظري بعيداً عما توفره القرائن والملاحظات العلمية لكل فرضية من مادة تبنى وبها تشتغل وتتبرر.

إتسم حسين مروة بخصال جعلته يتميز بل وينفرد عن مجايليه ممن عنوا بما عني به من مسائل في مجال الإشتغال العلمي للدراسات العربية والإسلامية، أول تلك الخصال معرفته الموسوعية المزدوجة بالتراث والحداثة، الموروث الديني والثقافي وتيارات الفكر الإنساني الحديث والمعاصر وكذلك ما غنمه من قراءاته للفكر الإنساني الحديث ومعرفته لتراث الإسلام فنجح في إتقان تعظيمه وتثميره وتوظيفه التوظيف الحسن في القراءة والتحليل بما يحمله من فكر تقدمي إذ أعطته المادية التاريخية فضاءً واسعاً كي يكون تحليله بعد استضافته لمفاهيم المعرفة الإنسانية المعاصرة تحليلاً واقعياً إذ استطاع أن ينطق النصوص في حقل من التاريخ والثقافة والإجتماع والفلسفة، كما يحمل من الخصال الجرأة المعرفية التي تحلى بها وشهد له بها من الجميع، وهي أظهر ما تكون في اقتحامه الشجاع للمناطق الممنوعة عن التفكير وفتحها أمام المساءلة النقدية والبحث العلمي لذلك يعد حسين مروة من أهم النقاد والباحثين العرب في العصر الحديث وما الموسوعة التي أصدرها (النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية) وقبلها (دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي) إلا دليل على إعادة الإعتبار إلى العقل النقدي الذي يحمل سمات التنوير والتقدم العلمي.

يقول المفكر حسين مروة في إحدى مقالاته: (لقد ذهب ذلك الزمن، دون رجعة أبداً، ونحن الآن في زمن مجيد نعرف فيه أن الحياة تسلك بنا طرائق شتى حقاً، وأن النشاط الإنساني تتعدد وجوهه وميادينه، ولكن جميع طرائق الحياة، وجميع نشاطات الإنسان تتلاقى دائماً، وتتصارع دائماً وتتفاعل بينها تفاعلاً متصلاً دون انقطاع أبداً. ونعرف أن خبرات الحياة كلها، وإبداعات الإنسان كلها، إنما هي نتاج ذلك التلاقي والتصارع والتفاعل، ونعرف – الى هذا – أن (عملية) التلاقي والتصارع والتفاعل ليست من صنع أذهاننا، بل هي من صنع الحياة نفسها، وصنع القوانين الموضوعية للحياة، وإنما هي تنعكس على أذهاننا من الخارج، من الواقع، ثم نتفاعل معها من جديد[١].

ويضيف المفكر حسين مروة في مقاله المهم هذا:(لقد انشأ لنا مفكرو الغرب المتطور المستعمر ثقافات ومذاهب فكرية وفلسفات مثالية، وأشاعوها فينا منذ أجيال، وأشبعوها بمفاهيم خاصة بعيدة عن واقع حياتنا، وواقع حاجاتنا، تنعكس عليها مصالح طبقة معينة من الباحثين عن الأرض ذات الكنوز في بلداننا، والباحثين عن المواد الأولية لمصانعهم وعن الأسواق والأرباح لمصنوعاتهم ورساميلهم، ثم ربطوا مصالحهم هذه بمصالح طبقات أخرى من شعوبنا يتعاملون معها ويتقاسمون وإياها جهد الكادحين فينا، وخيرات أرضنا وفلذات كنوزنا، وتعاونوا جميعاً في تثبيت تلك المفاهيم غير الصحيحة في صعيد أذهاننا ونفوسنا، لكي نظل أبداً متخلفين عقلياً واقتصادياً وسياسياً عن قافلة التطور البشري، ولكن نظل راكسين في قدريتنا المتواكلة القانعة الخانعة[٢].

٥. التراث العربي في فكر حسين مروة

ينطلق التحليل الماركسي للتراث من العلاقة الديالكتيكية بين القديم والجديد وذلك في مجرى التطور الفكري الإنساني الذي لا يأتي الجديد فيه نفياً للقديم أو قطعاً معه بل إظهاراً لما يتضمنه القديم من عناصر إيجابية قابلة للحياة، فالنفي في الفهم المادي الديالكتكي ليس هدفاً بذاته، وليس إلغاءً بقدر ما هو تطوير، لذلك من غير العلمي في النظرية الماركسية – اللينينية إستبعاد أية مرحلة من مراحل تاريخ المجتمع على المستويات كافة: السياسية والإقتصادية والإجتماعية والأيديولوجية والثقافية، فكل مرحلة تمارس تأثيراً فعالاً على المرحلة التي تليها، من دون أن يعني ذلك أن التأثير يظهر بشكل مباشر، وبالتالي هناك تفاعل بين مراحل التاريخ تحكمه الشروط المادية التاريخية في البنية الإجتماعية[٣].

إن التراث في ضوء المنهج المادي التاريخي ليس في حال سكونية تحكمه الحركة الدائرية، بل تحددّ بالعلاقة المادية الديالكتيكية للحاضر بالماضي، والتحديد هذا عند المفكر حسين مروة يعني أنّ معرفتنا ضوء (تاريخية) أي علاقته بالبنية الإجتماعية التي أنتجته والظروف التاريخية نفسها، التي أنتجت البنية الإجتماعية وبذلك ينتفي التماثل بين الماضي والحاضر، فتصبح العلاقة بينهما، أي بين الماضي والحاضر، بحسب تحديد حسين مروة علاقة تطور تاريخي يقود الى فهم (مشكلة المواقف من التراث) إنطلاقاً من أن المطلوب هو النظر الى فكر الأقدمين حيّاً بلحمه ودمه[٤].

---

[١] مجلة الثقافة الجديدة: ع٧, س٧، شباط١٩٥٩, ص٢٨

[٢] مجلة الثقافة الجديدة: المرجع السابق ص ٢٩

[٣] مجلة الطريق: ع١٨، س ٧٥، صيف ٢٠١٦، ص٨٧

[٤] مروة، حسين: النزعات المادية ٠٠٠، ج١، بيروت، ص٢٧

أما العلاقة بالمجتمع العربي – الإسلامي في العصر الوسيط، علاقة بالبنية الإجتماعية الشاملة لواقعه المادي، وللصراع بين القوى الإجتماعية في بنية محددة وهذا المغيّب في دراسات مثالية للتراث، فمعرفة التراث في ضوء المنهج المادي التاريخي هي معرفة تتحقق فيها (رؤية الحاضر في حركة صيرورة تتفاعل في داخلها منجزات الماضي وممكنات المستقبل تفاعلاً دينامياً تطورياً، رغم التقطع الحادث في مجرى حركة الصيرورة هذه[١].

إن حل (مشكلة الموقف من التراث) في ضوء المنهج المادي التاريخي يضمن غرضين: كيفية إستيعاب التراث بشكل جديد أولا، وكيفية توظيف هذا الإستيعاب الجديد ثانيا، في مجال تحرير الفكر العربي الحاضر من سيطرة التبعية للفكر الإستعماري وللأيديولوجية البرجوازية بتداخلهما التاريخي في البنية الإجتماعية العربية المعاصرة[٢].

إن تحديد العلاقة بين الكوني والخاص في ضوء المنهج الماركسي تبعد من تطبيق متكون على متميز، وبالتالي ينتج الجديد النقدي، إلى حد النقض في موقع الإختلاف الطبقي على قاعدة تمييز كونية القوانين العامة للماركسية، بمعنى أنها تفرض صدم مفاهيمها في واقع متميز لا تجد قوانينها العامة شروطها المادية التاريخية لتطبيقها عليه كما هي، وهي الإشكالية التي طرحها حسين مروة في بحثه للتراث العربي – الإسلامي إنطلاقاً من أن التحديدات الماركسية للبنية الإجتماعية غير موجودة في البنية الإجتماعية للعصر الجاهلي إذ يقول: (فلم أرَ في العلاقات الإجتماعية في الجاهلية وفي التراكيب الإقتصادية التي هي قاعدة للتشكيلة الإجتماعية، لم أجد الصورة التي تحدد التسلسل التاريخي للتشكيلة الاجتماعية كما حددتها الماركسية)[٣].

اعتمد حسين مروة صفة المادي التاريخي للمنهج الماركسي – اللينيني لدراسة التراث وتمييز كونية القوانين الماركسية العامة لتحديد تناقضات البنية الإجتماعية التي أنتج فيها التراث العربي – الإسلامي، فقد حدد مروة منهجيته في هذا التراث بأنها دراسة شمولية لأن: (المنهج المادي ينظر في هذا التاريخ وذاك نظرة شمولية لا ترى فيه جانباً دون آخر، بل جوانبه كلها، فما دامت المثالية من الأشكال التاريخية للفكر، فلسفياً كان أم غير فلسفي، لأن كلا من هذه الأشكال وتلك هو واقع تاريخي، فإهماله إذن خطأ في ممارسة المنهج نفسه، والدراسة العلمية لا تكون علمية بالفعل مع إهمال أي جزء من موضوعها[٤].

وفي هذا التحديد لمنهجية دراسة التراث انطلق حسين مروة من أن عمله: (لم ينحصر في البحث عن النزاعات المادية في أصول التراث الفلسفي العربي– الإسلامي مع إهمال الأشكال المثالية الطاغية على هذا التراث، بل نقول إن مثل هذا الحصر– حتى لو أردناه أو حاولناه – غير ممكن عملياً، فضلا عن كونه غير صحيح منهجياً)[٥].

وفي أسباب ذلك يقول حسين مروة:

أ. أن الفلسفة العربية – الإسلامية بخاصة يكثر فيها تشابك النزعات المادية الديالكتيكية مع العناصر المثالية والميتافيزيقية الى حد يتعذر معه استخلاص تلك النزعات دون بحث كل الإتجاهات الفلسفية التي تحتويها، ووضع اليد على كل منها بخصائصه وتجلياته التاريخية.

ب. أنه قلما نجد فلسفة مثالية صافية، في القديم أو الحديث، ففي كثير من التعاليم الفلسفية المثالية تكمن جوانب مادية أو ديالكتيكية وهكذا أيضا شأن الفلسفات المادية في ما قبل المادية الديالكتيكية – الماركسية –.

ت. إن النظر إلى الفلسفة يجب أن يكون نظراً إليها كمجرى تاريخي موضوعي يتطور دائما بتشابك الأفكار المختلفة وتفاعلها فيه، وبتصارع المادية والمثالية الديالكتيك والميتافيزيك خلال هذا المجرى. إن كل هذه الخصائص للفلسفة بعامة تنطبق أيضا على الفلسفة العربية – الإسلامية ذاتها، ذلك إضافة الى خصوصيتها الآتية إليها من وضعها التاريخي المعين[٦].

إن السؤال الذي طرحه حسين مروة هو: كيف نحدد أشكال المادية والمثالية في الحقبة التاريخية الذي أنتج فيها التراث؟[٧]

وفي إجابته على السؤال أنطلق حسين مروة من أن تغير أشكال المادة الفلسفية يتحدد من خلال ملاحظة مبادئ عامة هي:

١- أن هناك موقفاً مشتركاً تجاه ظواهر العالم بين مختلف هذه الأشكال، وهو الموقف الذي ينظر إلى العالم المادي أنه الأسبق من الوعي وجوداً، وأنه الواقع الموضوعي الأزلي المستقل لوجوده عن كل قوة أخرى خارجة عنه، في حين أن الموقف المشترك بين مختلف أشكال المثالية، هو النظر إلى العالم المادي أن لا وجود له مستقلا عن الوعي أو عن قوة ما أزلية خارج وجوده.

٢- رغم اشتراك مختلف أشكال المادية بموقفها ذاك من العالم المادي لابد من ملاحظة علاقة كل منها في مرحلة تاريخية معينة، بنوع النظام الإجتماعي المعاصر لها، وملاحظة أن هذه العلاقة تمارس تأثيرها على طابع شكل المادية في تلك المرحلة.

---

[١] مروة ، حسين، النزعات المادية...، مرجع سابق، ص٢٩
[٢] نفسه: ص٢٨
[٣] مجلة الطريق: ع١٨، س٧٥، ص٩٥
[٤] مروة، حسين: النزعات المادية، مرجع سابق، ص٣١
[٥] نفسه، ص٣٢
[٦] نفسه، ص٣٢
[٧] نفسه، ص٣٢

٣- ولابد أيضا من ملاحظة علاقة كل منها بالعلوم الطبيعية، وبالمرحلة التي بلغ إليها تطور هذه العلوم، فان لهذه العلاقة تأثيرها كذلك في تحديد شكل المادية الفلسفية[١].

على الرغم من وضع حسين مروة الأسس العلمية لدراسة تراثنا الفلسفي في ضوء المنهج المادي التاريخي، إلا أنه لم يتوقف عند هذا الحد، بل طرح سؤالا أخر هو: ما العوامل المحددة لطابع الوضع التاريخي هذا؟

وفي إجابته على السؤال وضع حسين مروة عاملين رئيسين هما:

أ. طابع أسلوب الإنتاج الإقطاعي المتداخل مع بقايا العبودية المنحلة والقطاع التجاري المتنامي إلى جانب نمو الصناعات الحرفية المتطورة نسبياً في المجتمع العربي – الإسلامي خلال العصور العباسية.

ب. طابع الإزدهار الذي حظيت به العلوم الطبيعية في هذه العصور[٢].

وبالتالي ما قاله حسين مروة في الإدارة المعرفية التي بحث فيها تراثنا الفلسفي أدى الى نتيجتين متلازمتين غير منفصلتين عن بعضهما:

الاولى: على مستوى المنهج المادي الديالكتيكي، كسر فيها الجمود العقائدي الذي حنّط المنهج بنفيه لقانون تطوره الداخلي المنطلق من مبدأ تفكر الواقع في ضوء المنهج المادي التاريخي للتمييز كونية قوانينه العامة، والثانية: إنتاج معرفة علمية لتراثنا كشفت جوانبه الثورية المحجوبة، لا بل الممنوعة في أيديولوجية دينية غيبيه وبرجوازية تسعى إلى تطبيق الماضي على الحاضر، وهي أيضا دراسة واجهت، بإنتاجها معرفة ثورية لتراثنا[٣].

عكس حسين مروة في أحكامه القطعية وتفاؤله في قراءة التراث قراءة ماركسية مطابقة للماركسية الرسمية، مناخ الحرب الباردة والأيديولوجيا في الخطاب العربي، وبلغة أخرى، عكس في مشروعه تاريخية خطابه وشروطه الموضوعية بكونه ماركسيا يبحث عن علة وجوده، واختلاف علاقته بماضيه العربي الإسلامي المفارق لوجوده وتوجهاته، إذ يبحث حسين مروة عن أسباب التصدي للتراث فوجدها أولاً في الإستمرارية الفكرية بين الماضي والحاضر، والصراع الأيديولوجي الذي يتطلب حل مشكلة العلاقة بين حاضر الفكر العربي وماضيه التراثي، والسبب الثاني ما نتج عن اتصال المفكرين والمثقفين العرب بالغرب الأروبي، وباتجاهاته الفكرية والإجتماعية في عصر النهضة في القرن التاسع عشر، وهي المرحلة التي فرضت على المفكر النهضوي ضرورة العودة الى التراث، لتأسيس نهضة عربية ثانية. واستئناف مشروعها الحضاري[٤].

ويرى الكاتب زهير توفيق في كتابه المهم (إشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر) أن المفكر حسين مروة قسّم الإهتمام بالتراث إلى مراحل، وجعل لكل مرحلة خصائصها المنهجية وتقييمها المعرفي وهي:

المرحلة الأولى: إحياء أساليب الإبداع والكتابة الأدبية وخاصة الشعر، لتقليدها والسير على منوالها، وهي في جوهرها عملية متناقضة مع ذاتها، فهي رجعية في أسلوبها، نظرا للتعصب والتنويه الذاتي الذي طغى على مضمونها، وتقدمية بدوافعها لتحقيق ذاتها (الشخصية العربية) مقابل الاستعمار الغربي والهيمنة العثمانية.

المرحلة الثانية: مرحلة أكثر نضجاً، إلا أنها لم تخرج عن سياقها، وهي مرحلة إحياء التراث بالمعنى المتعارف عليه، أي طباعة بعض المؤلفات المنتقاة من كلاسيكيات التراث العربي الإسلامي في مختلف الميادين ونشرها[٥].

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة نقدية، تتجلى في إعادة النظر بالمنجزات والنظريات العنصرية الإستعمارية التي تعاملت مع التراث العربي من موقع المركزية الغربية والتفوق السياسي والعرقي، وأهم ممثل لهذه المرحلة هو المصلح جمال الدين الأفغاني، الذي دشّن وجوده تياراً سلفياً إصلاحياً في فكر النهضة العربية لا يمكن تجاوزه أو تجاهله، فقد عمل على تجديد الروح الشرقية بتجديد المعطى الإسلامي لمساعدة الشعوب العربية والإسلامية على مواجهة التحديات، وخاصة التقليد والخطر الإستعماري، فطالب بفتح باب الإجتهاد وهاجم التقليد والمقلدين ودعا لجامعة إسلامية للتصدي للإستعمار الغربي[٦].

إتبع حسين مروة منهجاً تحليلياً مقارناً، فقبل عرض وجهة نظره المؤسسة على النهج المادي التاريخي بوصفها منهجاً بديلاً، وآثر أولاً عرض مقاربات الإتجاهات اللاتاريخية أو المثالية غير الماركسية ونقدها، ومن ثم طرح مقاربة المنهج المادي التاريخي، فأشار أولا لمقاربات الفكر المثالي والبرجوازي لإثبات تهافتها وقصورها المعرفي في حل مشكلة التراث، التي لا يمكن حلها في النهاية إلا على أساس أيديولوجي يتصل بالطبقي والعلمي، أي لا يمكن حل هذه القضية حلاً صحيحاً إلا على أساس الأسلوب الماركسي اللينيني، الذي يستلزم إبراز المحتوى الديمقراطي الكامن في كل تراث روحي قومي، والربط بينه وبين المحتوى الديمقراطي الأممي للثقافة المعاصرة[٧].

---

[١] نفسه، ص ٣٣

[٢] نفسه، ص٣٦

[٣] نفسه، ص٤٠

[٤] توفيق، زهير: إشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٣، عمان، ص٣١

[٥] نفسه، ص ٣٢

[٦] نفسه، ص٣٣

[٧] نفسه، ص٣٤

أما طبيعة الحل العلمي الذي يضمره المنهج المادي التاريخي فيتعلق بما يأتي:

أ. فهم العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر.

ب. الإنطلاق من المحتوى الثوري لحركة التحرر العربية.

ج. فهم الترابط الجوهري بين ثورية هذا المحتوى وثورية الموقف من التراث، أي الموقف الشمولي المبدئي، ويتمثل ذلك برؤية التراث بالطريقة الثورية نفسها التي ننظر بها لقضايا الحاضر[١].

ويتساءل حسين مروة: لماذا اختلفت مقاربات التراث من عصر الى عصر، ومن باحث إلى آخر، بالرغم من أن هذا التراث هو واحد في كليته؟ وتفسيره لذلك هو تباين أيديولوجات المفكرين والباحثين، واختلاف مواقعهم الطبقية لأسباب موضوعية ليس لها علاقة بطبيعة شخصياتهم وذهنياتهم المجردة، وما دامت قاعدة الإختلاف بين الطبقات والأيديولوجيات قائمة في الحاضر، فستكون إذن وجهات نظرها للتراث مختلفة متباينة، ويميز حسين مروة بين الإستيعاب المادي التاريخي واستيعاب السلفية المحدثة التي تنطلق في رؤيتها من تماثل الماضي في الحاضر لعصرنة التراث، ومن ثم إخضاع الحاضر لمعايير الماضي، بل واستلهامها كل مشكلاتنا الراهنة، ويترتب على حل مشكلة التراث حلاً مادياً تاريخياً جملة من النتائج منها:-

١. إستيعاب التراث على نحو جديد مغاير للمناهج والاتجاهات المثالية.

٢. توظيف هذا الفهم والإستيعاب لتحرير الفكر العربي المعاصر من التبعية للفكر الاستعماري والأيديولوجية البرجوازية.

وتوظيفه يعني وضع التراث في إطاره التاريخي الذي أنتجه، لكشف المنابع والأصول الاجتماعية الحقيقية لتراثنا الفكري[٢].

ويؤكد حسين مروة على أن المنهج المادي التاريخي يتميز بالشمولية على صعيد الموضوع، فيدرس كل معطيات التراث المثالية منها والمادية، وهو المنهج الأمثل والأقدر مع تفاوت جهود الماركسيين ومستوياتهم في تطبيقه في دراسات الماضي والحاضر.

٦. الخاتمة

لا تزال قضايا ومسائل جوهرية تمثل مدار الإشكالات الفكرية والمعرفية العربية الحديثة، وفي مقدمة ذلك سؤال التراث العربي ومناهج التعامل معه والإقتراب منه، إذ تتعدد الرؤى وتتنوع الأدوات، ولعل أبرز المحاولات والمقاربات المعاصرة هي مقارنه محمد عابد الجابري وحسين مروة والطيب تيزيني وحسن حنفي وطه عبد الرحمن وعدد من المستشرقين الغربيين والروس، ومن بين هذه المقاربات مقاربة حسين مروة، المفكر العربي الذي درس التراث العربي – الإسلامي دراسة وفق المنهج الجدلي التاريخي إذ كان امتداداً مبدعاً لما سبقه من إبداع في الدراسات التراثية، غير أن مروّة أعاد بناء الرؤية العربية للتراث الفلسفي مبرراً ما فيه من كنوز الفكر المادي الموضوعي الذي طالما غيب وما زال يغيب عند أغلب من يكتبون عن هذا التراث، فضلاً عن كشفه الحقائق الصراع الطبقي في قلب التراث الفكري و الأدبي والديني والثقافي عامة، بغير جمود منهجي أو أيديولوجي.

ففي مجال النقد الأدبي أسس حسين مروة لصفحة منهجية جديدة في تراثنا النقدي المعاصر، تبلورت فيها نظريته النقدية في كتابيه (قضايا أدبية، ١٩٥٦) و (دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، ١٩٨٨) اللذين ناقش فيهما المستوى النظري والتطبيقي والنقاط التي لا تزال تشغل جانباً مهماً من تفكيرنا في ما يتعلق بنظرية الأدب وأصول علم الجمال، أي انه يدعو الى نقد منهجي ملتزم يرتكز على قواعد وأصول ومقاييس ويحارب نوعية النقد الأدبي الغالبة اليوم في العالم العربي والمتسمة بالتأثيرية، لأن النقد التأثيري يفقد النقد وظيفته الأساسية كلياً، وفي موسوعته (النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية) والتي أنجزها خلال عشرة أعوام مكث خلالها في موسكو حتى أصدرها وهو الكتاب الذي أثار جدلاً ثقافياً ومعرفياً واسعاً، إذ يلتقط فيه العديد من القضايا والجذور العقلية والمادية في حركة التشيع وبروز الأفكار الجبرية والقدرية وما تخلل ذلك من طور وصراع فكري ذي أبعاد سياسية أسهم في ارتقاء حركة الفكر العربي نحو مستويات من النظر العقلي والفلسفي، ووضع الأسس الأولى للحركة العقلية في مجرى تطور الفلسفة العربية.

---

[١] نفسه، ص٣٥

[٢] نفسه، ص٣٦

Conflicts Of Interest

The author declares no conflict of interest in relation to the research presented in the paper.

Funding

The author's paper explicitly states that no funding was received from any institution or sponsor.

Acknowledgment

The author expresses appreciation to the institution for their continuous support and access to relevant research materials

References

[1] Tawfiq, Z. (2013). *Ishkaliyyat al-turath fi al-fikr al-'arabi al-mu'asir* (1st ed.). Beirut, Lebanon: al-Dar al-'Arabiyya lil-'Ulum Nashirun; Dar al-'Arab lil-Nashr wa-l-Tawzi'. Wikipedia

[2] Rosenthal, F. (1983). *'Ilm al-tarikh 'ind al-muslimin* (S. A. al-'Ali, Trans.). Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-Risala. (Original work published 1952). أرشيف الإسلام -+1

[3] al-Sayyid Dughaym, M. (1986). *Al-madiyya al-tarikhiya bayna al-wahm wa-l-waqi'* (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Hadatha. Lis.cl

[4] Mroueh, H. (2016). *Al-naz'at al-madiyya fi al-falsafa al-'arabiyya al-islamiyya* (3rd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Farabi. Dar Al-Farabi+1

[5] Mroueh, H. (1988). *Dirasat naqdiyya fi daw' al-manhaj al-waqi'i*. Beirut, Lebanon: Maktabat al-Ma'arif.

[6] Mroueh, H. (1986). *Turathuna kayfa na'rifuhu* (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-Abhath al-'Arabiyya. The Book Home

[7] Mustafa, S. (1983). *Al-tarikh al-'arabi wa-al-mu'arrikhun* (Vol. 1). Beirut, Lebanon: Dar al-'Ilm lil-Malayin. Noor Library+1

[8] Salih, F. (1979). *Al-madiyya al-tarikhiya wa-al-wa'i al-qawmi 'ind al-'Arab: al-judhur*. Beirut, Lebanon: Dar al-Quds. ECSSR Library+1

[9] Anis, A. A., & al-'Alim, M. A. (1988). *Fi al-thaqafa al-misriyya* (2nd ed.). Rabat, Morocco: Dar al-Aman. IRMC

[10] Mroueh, H. (1959, February). Al-adab wa-al-thawra al-lubnaniyya. *Majallat al-Thaqafa al-Jadida*, 7(7).

[11] Mroueh, H. (1979). Man alladhi yasna'u al-tarikh? *Majallat al-Thaqafa al-Jadida*, 27(5).

[12] Dirki, R. (2003). Al-fikr al-ishtiraki wa-al-fikr al-markisi: Qadaya fi al-manhaj lada Husayn Mroueh wa-Mahdi 'Amil. *Majallat al-Tariq*, 62(4).